

## تفسير ابن كثير

اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مصروبين للحق في ثباته وبقائه والباطل في اضمحلاله وفناه ف قال تعالى : { أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } أي مطرا { فَسَالَتْ أَوْدِيَةَ بِقُدْرَاهَا } أي أخذ كل واد بحسبه فهذا كبير وسع كثيرا من الماء وهذا صغير وسع بقدرها وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها فمنها ما يسع علما كثيرا ومنها من لا يتسع لكتير من العلوم بل يضيق عنها { فَاحْتَمَلَ السَّيْلَ زِبْدًا رَابِيَا } أي فجاء على وجه الماء الذي سال في هذه الأودية زيد عال عليه هذا مثل .

وقوله : { وَمَا يَوْقُدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيلَةَ أَوْ مَتَاعَ } الآية هذا هو المثل الثاني وهو ما يسبك في النار من ذهب أو فضة ابتغاهم حليلة أي ليجعل حليلة نحاس أو حديد فيجعل متاعا فإنه يعلوه زبد منه كما يعلو ذلك زبد منه { كَذَلِكَ يَضْرِبُ إِنَّ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ } أي إذا اجتمعوا لا ثبات للباطل ولا دوام له كما أن الزبد لا يثبت مع الماء ولا مع الذهب والفضة ونحوهما مما يسبك في النار بل يذهب ويضمحل ولهذا قال : { فَأَمَّا الزَّبْدُ فَيَذْهَبُ جَفَاءً } أي لا ينتفع به بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي ويتعلق بالشجر وتنفسه الرياح وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب ولا يرجع منه شيء ولا يبقى إلا الماء وكذلك الذهب ونحوه ينتفع به ولهذا قال : { وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ } كذلك يضرب إن الأمثال كقوله تعالى : { وَتَلَكَ الْأَمْثَالُ نَصْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ } وقال بعض السلف : كنت إذا قرأت مثلا من القرآن فلم أفهمه بكثرة عقلي فقلت تعالى يقول { وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ } .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : { أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةَ بِقُدْرَاهَا } الآية هذا مثل ضربه إن احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها فأما الشك فلا ينفع معه العمل وأما اليقين فينفع إن به أهله وهو قوله : { فَأَمَّا الزَّبْدُ } وهو الشك { فَيَذْهَبُ جَفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ } وهو اليقين وكما يجعل الحلبي في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبيثه في النار فكذلك يقبل إن اليقين ويترك الشك وقال العوفي عن ابن عباس قوله : { أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةَ بِقُدْرَاهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلَ زِبْدًا رَابِيَا } يقول : احتمل السيل ما في الوادي من عود ودمنة { وَمَا يَوْقُدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ } فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد فللنحاس وال الحديد خبث يجعل إن مثل خبيثه كزبد الماء فأما ما ينفع الناس فالذهب والفضة وأما ما ينفع الأرض فما شربت من الماء فأنبتت فجعل ذاك مثل العمل الصالح يبقى لأهله والعمل السيء يضمحل عن أهله كما يذهب هذا الزبد

وكذلك الهدى والحق جاء من عند الله فمن عمل بالحق كان له وبقي كما بقي ما ينفع الناس في الأرض وكذلك الحديد لا يستطيع أن يعمل منه سكين ولا سيف حتى يدخل في النار فتأكل خبته ويخرج جيده فينتفع به فكذلك يض محل الباطل فإذا كان يوم القيمة وأقيم الناس وعرضت الأعمال فيزيغ الباطل ويهلك وينتفع أهل الحق بالحق وهكذا روي في تفسيرها عن معاذ والحسن البصري وعطاء وقتادة وغير واحد من السلف والخلف .

وقد ضرب سبحانه وتعالى في أول سورة البقرة للمنافقين مثلين : نارياً وما نبياً وهم قوله { مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله } الآية ثم قال { أو كصيـبـ من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق } الآية وهكذا ضرب للكافرين في سورة النور مثلين ( أحدهما ) قوله { والذين كفروا أعمالهم كسراب } الآية والسراب إنما يكون في شدة الحر ولهذا جاء في الصحيحين : فيقال لليهود يوم القيمة : مما تريدون ؟ فيقولون : أي ربنا عطشنا فاسقنا فيقال : ألا تردون ؟ فيردون النار فإذا هي كسراب يحطم بعضها بعضاً ثم قال تعالى في المثل الآخر : { أو كظلمات في بحر لجي } الآية وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [ إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا ورعاوا وسقوا وزرعوا وأصابت طائفة منها أخرى إنما هي قيungan لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني الله عنه ونفع به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ] فهذا مثل ما نبيه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : [ مثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها يجعل يجزهن ويغلبنه فيقتلون فيها ] وأخرجاه في الصحيحين أيضاً فهذا مثل ناري